

سوسولوجيا الحياة اليومية في ظل تعاليم السنة النبوية.  
Sociology of daily life teachings of the prophet  
sunnah

د.آمال بن سمشة  
جامعة - محمد الشريف مساعديّة - سوق اهراس

الملخص:

لطالما درس متخصصو علم الاجتماع ديناميكية وحركية المجتمعات، وكيف يمكن للفرد أن يقاوم هذه الحركية، أو كيف يتحاوب معها. بل إن تداعيات التطور المستمر جعلت كبار الباحثين يهتمون حتى بأمور الحياة اليومية كالغسيل، واستخدام أدوات الطبخ والمسح، ومدى تأثير هذه الحيشيات البسيطة في سير العلاقات الاجتماعية والبنى الطبقية.

وديننا الحنيف يفصل في كل مجريات الحياة، بأحد مصدريه: الكتاب والسنة. فلم يكتف بالنص القرآني بل جاءت السنة النبوية الشريفة لتفصل أدق المعاني. وبعكس ما يروج عن الإسلام بكونه يمثل جمودا في قواعده وفي سير حياة مجتمعاته. فإن الإسلام قدّم طرقا كثيرة لفتح باب النقاش والاجتهاد في مساندة العصر وفق منهج نبوي واضح المعالم، فالمسلم الذي كان يتحرى هلال رمضان بترقب النجوم بالعين المجردة أصبح اليوم يتابع هذا الأمر بأحدث التقنيات، وبالتالي رؤية الهلال لم تعد تشكل مصدر ريب بالنسبة له حتى لو سافر إلى بلد أجنبي.

كما أن الفرد المسلم المنحرف وراء الحداثة لا بد أن يرجع في كل مرة إلى السنة النبوية ليستجلي ما استعصى عليه فهمه أو مقاومته، حتى يبني علاقاته الاجتماعية بشكل سليم. وهذه هي الفكرة التي سنتناولها في مداخلتنا. إن شاء الله.

الكلمات المفتاحية: الحياة اليومية، السنة النبوية، تعاليم السنة النبوية.

**Abstract:**

Sociologists have always studied the dynamics of societies, how one can resist this

movement, or how to respond to it. But the repercussions of development have made researchers interested in matters of daily life such as washing, and the use of cooking tools, and the impact of these simple actions on social relations and class structures. Our religion is concerned with all aspects of life, in one of its sources; the Book and the Sunnah. Not only the text of the Quran, but also to the Prophet's noble Sunnah to teach us the minutest meanings of each action in life. Contrary to sources that depict Islam as being rigid in its rules and in the life matters. Islam has presented many ways to open the door to debate and in keeping with the times according to a clear-cut prophetic curriculum. Muslim in past centuries studied the crescent of Ramadan by watching the stars with the naked eye and now they are following this phenomenon with the latest technology.

The Muslim individual who is driven by modernity must return every time to the Sunnah to look for meaning so he can build his social relations properly. This is the idea that we will address in our intervention, God willing.

**key words : daily life ,prophet Sunnah , teachings of the prophet Sunnah**

### مدخل:

لم يعد علم الاجتماع حالياً يركز على دراسة البناء الاجتماعي، وكيفية تجمع الأفراد، أو ماهية الجماعات الاجتماعية، بقدر ما يبحث في كيفية تطور هذه المجتمعات، وتغير العلاقات الاجتماعية. فالجماعات المغلقة لم يعد لها وجود تقريبا، لكن البحث المعمق في طبيعة المجتمعات الحديثة والمتطورة بشكل خاص، تبين لنا أن الجماعات المغلقة موجودة في تكوين المجتمع الحديث، فالجماعات الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي، تصنع جماعات مفتوحة في ظاهرها، لكن مغلقة في واقعها، لأنها جماعات مغلقة في المكان والزمان الحقيقي. فبالرغم من تواجد الأفراد في أماكن مختلفة، إلا أن تواجدهم الحقيقي ثابت، وهو الجلوس أمام الكمبيوتر أو أحد الأجهزة الذكية. الزمان أيضا محدود في الأوقات الاعتيادية. لهذا فدراسة الحياة اليومية تبين لنا كيف يتدع البشر ويتكروا أفعالا مختلفة وخلافة يسهمون بها في إعادة تشكيل واقعهم. ورغم أن ثمة مؤثرات وعوامل أخرى تفرض نفسها أو تحدد الجوانب الرئيسية في السلوك الاجتماعي مثل الأدوار والمعايير والتوقعات المشتركة، غير أن الأفراد يميلون إلى إدراك الواقع حولهم بطرق مختلفة ومتفاوتة اعتماداً على طبيعة المهادات والخلفيات التي نشأوا فيها والبواعث والخوافز التي يستهدون بها، والمصالح التي يسعون إلى تحقيقها. ولأن لدى الأفراد القدرة على الفعل الابتكاري الخلاق، فإنهم يعيدون تشكيل واقعهم على الدوام عبر ما يتخذونه من قرارات وما يقومون به من تصرفات. وبعبارة أخرى، فإن الواقع ليس أمراً ثابتاً وساكناً ومنجزاً ومفرغاً منه، بل إنه يخلق ويتشكل ويعاد تشكيله خلال التفاعلات البشرية (أنتوني غدنز، 2005، 159).

وعليه يركز علماء الاجتماع حالياً على دراسة سوسولوجيا الحياة اليومية، أي كيف يتأثر الأفراد بالأفعال الاعتيادية وبمجريات الحياة اليومية؟ كيف يؤثر ذلك في علاقاته مع أسرته وأصدقائه وجيرانه، وفي تفاعله مع الأشياء والموجودات المادية؟

إن كل هذا في صلب عمل الباحث الاجتماعي الغربي . لكن علم الاجتماع الإسلامي يبحث هو أيضاً بنفس الطريقة ، بل وبشكل مسبق في الزمان والمكان أيضاً . وذلك بفضل القواعد الاجتماعية التي يوضحها الدين الإسلامي في تعاليمه المبينة بالكتاب والسنة .

ولئن كان علماءنا الأوائل قعدوا القواعد وأصلوا الأصول لفهم الأحاديث الشريفة والحكم عليها، فلا بُدَّ من إضافة نوعية تخدّم الناس على اختلاف مشاربهم ومواردهم بالنظر إلى تطورات العصر واحتياجاتهم، بعيداً عن كل فهم سقيم، أو سوء استخدام لمعاني السنّة الشريفة، أو جمود على أقوال السابقين من غير إعمال لمقاصد الشريعة؛ إذ الأصل في السنّة أنها جاءت ليهتدي بها الناس إلى الصراط المستقيم؛ تسهيلاً وتيسيراً ورفعاً للحرج والمشقة.

يقول الله تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل: 44]. فالنص الصريح بالآية القرآنية ، تشرحه السنة النبوية في أفعال وأقوال وتقارير عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد شمل هذا التفسير مجموعة من المحاور أهمها :

### 1. فقه النساء :

تعد المرأة محور الأحداث الاجتماعية في الحياة المعاصرة ، حتى أصبحت يخصص لها في كل العلوم حيز يشمل شؤونها ويوضح سر تفردتها ، فهناك علم اجتماع المرأة ، وإعلام المرأة ، وطب المرأة... والإسلام أيضاً أعطى المرأة أهميتها التي تستحقها وفتح الأبواب ليشرح كل ما يخصها في حياتها اليومية ، في العبادة والتعاملات الاجتماعية ، والمالية ، والصحية ...

فقد خاطب الإسلام المرأة بالعدل والمساواة مع الرجل ، في المكانة وفي المسؤولية وفي التكليف والتشريف أيضاً ، والدليل على ذلك قوله تعالى : " إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً " ( 35 الأحزاب )

وبالتالي فكل الأبواق المنادية بمساواة المرأة بالرجل ، تجاوزها الإسلام الذي حفظ كرامة المرأة وسواها بالرجل في حدود قدراتها و خصوصية تكوينها الجسدي والنفسي .

وبما أن مكانة المرأة مفهوم متعدد الأبعاد يرتكز على مجال واسع من المؤشرات العامة البنائية ، فإن بعض هذه الأبعاد يمكن تفسيرها بسهولة أكثر من غيرها على أنها تدل على قوة المرأة على المستوى الفردي ... ويمكن التفريق بين قوة المرأة ومكانتها ، فيشير مصطلح مكانة Status المرأة إلى وضعها العام في المجتمع ، بينما يشير مصطلح القوة Power إلى قدرة المرأة على التأثير والسيطرة على مستوى التعامل بين الأفراد وبعضهم . ويمكن تعريف القوة بأنها " القدرة على السيطرة على سلوك الغير أو تغييره " ( علياء شكري وآخرون ، 1998 ، 85). ومع هذا فإن مكانة المرأة وقوتها . حسب الدراسات السوسيولوجية . مستمدة من الرجل وقوة هذا الرجل في الأسرة والمجتمع . وهذا ما أشار إليه الدين الإسلامي .

ثم فصل في شرح كل ما يتعلق بحياتها في العبادة والمعاملات ، كالطهارة ، وكيفية الصلاة ، واللباس ، والأكل والشرب ، الزواج والطلاق ، الوفاة ، التعطر والتزين ، الإنجاب ...

## 2. العلاقات الاجتماعية :

تعني العلاقة وجود ربط شيء بشيء آخر . وعلى الصعيد الإنساني نجد أن كل فرد مرتبط بآخر تحت مسميات مختلفة (آباء، أخوة، أصدقاء ، زملاء، جماعات، مؤسسات ... إلخ) ، فهو مندمج في نسيج وفضاء اجتماعي يقوم على شبكة من التبادلات المعقدة التي توجه أفعاله وتنشئته الاجتماعية، فهذا الربط بين عنصرين أو أكثر يعني وجود نوع من التأثير المتبادل، و هذا يؤدي بنا إلى مفهوم التفاعل، فلا يمكن تصور وجود تفاعل بين طرفين اجتماعيين دون أن نقول بوجود علاقة. يمكننا تعريف العلاقات الاجتماعية بأنها: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع" أو هي صورة من صور التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو أكثر بحيث تكون لدى كل طرف صورة عن الآخر والتي تؤثر سلبا أو إيجابا على حكم كل منهما للآخر، ومن صور هذه العلاقات الصداقة والروابط الأسرية والقربانة وزمالة العمل والمعارف والأصدقاء . " وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناء على تفاعلهم مع بعضهم البعض بغض - النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية من أهم ضرورات الحياة - الاجتماعية . وعليه فإن موضوع العلاقات الاجتماعية أصبح يحتل مكانة بارزة في العلوم الاجتماعية ( حسام الدين فياض ، 2002 ، 2).

ولقد عنى الإسلام بتقوية الروابط الاجتماعية بما يكفل للأمة الاستقرار والقوة ، وذلك عبر مستويات ثلاث : رابطة الدين ، رابطة الرحم ، رابطة الجوار أو الجغرافيا ، وجميعها روابط متكافلة ومتساندة غير متناقضة ، وهي مجموعها تحقق الانسجام النفسي للمسلم .

فرابطة الدين تحقق انسجام الانسان العقلي والروحي والفقري ... فقد جاء الإسلام برباطة الدين ليجعلها فوق كل رابطة أخرى ، لا لتكون عنصرية جديدة ، بل لتكون ميزان الحق . فالمسلم يوالي ويعادي بحسب ما في المرء من حق وخير ، ولهذا ينبغي أن تكون ولاية الحق أقوى الروابط لأن الحق دين، ولأنه لا يعلو على الحق رابطة عصبية أخرى... إن أخوة الإيمان هي الرابطة القائمة بين أهل الحق ، وإن اجتماعهم يعني اجتماع على الحق ، فإذا تفرقوا وتنازعوا فهو إنما لأجل انحرافهم عن الحق ، فقد قال الله تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " ( آل عمران 103) .

ولهذا لا ينبغي أن يكون بين المؤمنين أخلاق الجاهلية قال الله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب " ( المائدة 2)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره التقوى ها هنا" ويشير إلى صدره ثلاث مرات ( محمد الهامي ، 2015 ، 122 / 124) .

أما رابطة الرحم فقد أكد الإسلام عليها بين الناس ، وكان هذا منذ اللحظات الأولى في عمر الرسالة بتوجيه المؤمنين إلى البر بالوالدين ، وإن ظلوا على الشرك قال تعالى : " ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير (14) وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا " ( لقمان 14،15)

وحين أوجز جعفر بن أبي طالب معالم الرسالة أمام النجاشي قال : " وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار " ( مسلم 832)

واستمر هذا حتى اكتمل الدين وتمت الرسالة ، فكان الإحسان إلى ذوي الأرحام من أولويات التكليف: " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام " ( النساء 1) وقوله تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل " (النساء 36)

. رابطة الحوار : وهي رابطة قد تجمع ما سبق ، فيجتمع في المكان الواحد المسلمون وذوي الأرحام ، وقد لا تجمع شيئاً مما سبق ، فيجتمع في المكان الواحد المسلم مع غير المسلم البعيد . وقد كان المسجد صاحب فضل كبير في جمع المسلمين في مكان واحد ، أما من لم يكن مسلماً أو كان مسلماً عاصياً ليس من أهل المسجد ، فقد جعل الإسلام له حق الجار ، ويوصي بحسن الجوار والمعاملة والمعاشرة ، قال ابن حجر : " واسم الجار يمل المسلم والكافر والعابد والفاسق ، والصديق والعدو والغريب والبلدي ، والنافع والضار ، والقريب والأجنبي ، والأقرب داراً والأبعد " ( ابن حجر / فتح الباري 441/10 )  
وقد ظن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرة الوصية بالجار أنه سيكون من جملة الوارثين : " مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه " ( البخاري 5669 ، ومسلم 2624 ) ( محمد الهامي ، 2015 ، 134/126 )

من جهة ثانية ، يكثر الحديث في المجتمعات المعاصرة عن الصداقة ، وكيفية كسب الأصدقاء ، في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أعظم وأرقى مثال للصداقة ، فقد سمى أصدقاؤه بالصحابة ، ولم يكن أباً بكر ( رضي الله عنه ) إلا مثالا للصدوق ، يقول الله " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ) التوبة (40)  
قال القرطبي في تفسيره " هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضي الله عنه ، روى أصبغ وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " هو الصديق . فحقق الله تعالى قوله له بكلامه ووصف الصحبة في كتابه . ، فقد اخلص النبي في صحبتهم لوجه الله ، وأخلصوا بدورهم للنبي الكريم كشخص فاضل وكرسول مرسل برسالة إلهية ، دافعوا عنها بالنفس والنفيس . بل إنهم أكملوا المسيرة من بعده صلى الله عليه وسلم فحافظوا على سنته النبوية من التحريف أو التلفيق ، فنظرا للمكانة السامية والأهمية البالغة للسنة اعتنى بها الصحابة . رضوان الله عليهم . اهتماما بالغاً بعد اهتمامهم بالقرآن الكريم ، فتلقوها وحفظوها وضبطوها وعملوا بها ، وبلغوها كما وعوها . وقد كان نداء رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ودعاؤه يرن في آذانهم : " نصر الله امرأ سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه " ( أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم رقم 3660 ) وقوله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عني ولو آية " ( أخرجه البخاري رقم 3461 ) فقاموا . رضي الله عنهم . بأدب السماع منه والإسماع عنه خير قيام ، وأدوا سنة نبيهم . عليه الصلاة والسلام . إلى أتباعهم خير أداء ، ولم يفتهم شاردة ولا واردة إلا ورووها ، فإذا سمعت الحديث منهم فكأنك تسمع من فم النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم تولى أتباعهم . رضي الله عنهم . هذه المهمة الهامة ، وأخذوا على عاتقهم تقديم السنة للناس ، وتحملوا هم وأتباعهم بعد مشقة تلقيها وضبطها وتدوينها وجمعها ، حتى وصلت إلينا مرتبة ومبوبة في شكل كتب الصحاح والسنن ، والمصنفات والموطّآت ، والمسانيد والجوامع . ( سيد عبد الماجد الغوري ، 2009 ، 6 ) أوليس هذا خير مثال عن الصداقة والصحة المثالية .

هناك نوع آخر من العلاقات اهتمت السنة النبوية بشرح طريقة التعامل معها . مرتبطة بالحياة اليومية للبشر ، ألا وهي الحيوانات . فقد بالغ الغربيون في المنادة بالرفق بالحيوان . أليفا كان أم بري . عبر الجمعيات و المؤسسات الخيرية و قنوات الإعلام ، موضحين أهمية الحيوانات في إحداث التوازن الايكولوجي من جهة ، ومن جهة ثانية قيمتها كمرافق وأنيس للبشر ، وضرورة العناية بها وبيئتها . متهمين المجتمع المسلم بالعنف والقسوة ، خصوصا في مناسبة العيد الأضحى ، متناسين أنهم حطّموا الأرقام القياسية في استهلاك اللحوم الحمراء .

صحيح أن هناك تجاوزات فردية في العنف ضد الحيوان أو عدم العناية به . لدى المسلمين وغير المسلمين . لكن الإسلام ينهى عن التعامل القاسي للحيوان ، ويلح في ضرورة الرفق به ، وتوضيح قيمته في حياة الإنسان ، كغذاء أو وسيلة سفر ، أو للحماية أو للأنس به ، في قوله تعالى : " ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بثّ فيهما من دابة " ( الشورى 29 ) وقوله عزّ وجلّ : " أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون " ( يس 71،72،73 )

وهناك صور كثيرة لرحمة النبي صلى الله عليه وسلم للحيوان ، في الأحاديث المشرفة ، فقد كان يسمح على جلودها ، ويطعمها ويسقيها ، كما نهى عن ضربها وتجويعها أو تعذيبها . وروى أيضا عليه الصلاة والسلام لأصحابه قصصا تصور الإحسان للبهيمة والأجر العظيم الذي يدركه المرء في ذلك الفعل ، مثل القصة المعروفة عن المرأة التي دخلت النار في "قطة" حبستها فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . وفي المقابل ذكر لنا قصة امرأة بغية من بني إسرائيل رأت كلبا يموت عطشا فسقته فدخلت بذلك الجنة .

### **3 . المعاملات المالية :**

لم تقتصر السنة النبوية على شرح ما يتعلق بالمعاملات الاجتماعية فقط ، بل فصلت أيضا كل ما يتعلق بالمعاملات المالية كالزكاة والوقف والإرث والتبادلات التجارية .



لقد أمر الإسلام كل قادر أن يعمل ، ويسعى في طلب الرزق ليكفي نفسه، ويغني أسرته، ويسهم بالنفقة في سبيل الله. فمن لم يستطع وعجز عن العمل، ولم يكن لديه من المال الموروث أو المدخر ما يسد حاجته، كان في كفالة أقاربه الميسورين. لكن، ليس لكل فقير أقارب، كما يوجد هناك المحتاجون العاجزون، مثل : الأيتام، الأرمال، العجائز، المرضى، ذوي العاهات... وهؤلاء لم ينسهم الإسلام. فقد فرض الله لهم في أموال الأغنياء حقا معلوما، وفريضة مقررة ثابتة، هي الزكاة (يوسف القرضاوي ، 1991، 65). إن عبادة الله وحده تحتاج إلى الإحسان المادي والقولي. فإقامة الصلاة هي التبعّد القولي الذي يحسن للناس، ويؤلف بين قلوبهم، ويخلق من العدو وليا حميما، ويطهر النفس، ويعرج بها إلى الله مبتعدا بها عن الفحشاء والمنكر. كما أن إيتاء الزكاة هو التبعّد المالي الذي يسد حاجة الوالدين وذوي القربى، واليتامى والمساكين، ويحقق التوازن في المجتمع، حتى يتمكنوا من السير بموجب الفطرة (سليمان يحفوي، 50).

أما **الوقف** فهو حبس أصل العين عن التصرف فيها بوجه من الوجوه الناقلة للملكية، كالبيع والهبة والميراث، مع التصديق بشمرتها أو منفعتها على وجه من وجوه البر والخير. والأصل في مشروعيتها ما رواه محمد بن الحسن عن صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر : أن عمر رضي الله عنه، كانت له أرض تدعى " ثمغ " وكانت نخلا نفيسا، فقال عمر : يا رسول الله، إني استفدت مالا نفيسا أفأتصدق به؟ فقال رسول الله (ص) : تصدق بأصله، لا يباع، ولا يوهب، ولا يورث، ولكن تنفق ثمرته على المساكين. فتصدق به عمر رضي الله عنه، في سبيل الله، وفي الرقاب، والمساكين، وابن السبيل، وذوي القربى. والوقف نوعان، خيرى وذري (أهلي) : أما الخيري، فهو ما كان منذ البداية موجها إلى جهة الخير وبر لا تنقطع، كالفقراء والمؤسسات الاجتماعية... وأما الذري (وهو الأهلي) فهو ما كان موجها في أول أمره إلى حفظ ذرية الواقف من الضياع، فقرا وفاقة. ولكن يشترط أن يحض . عند انقراض الذرية المستحقة إلى جهة بر وخير لا تنقطع، كالمساجد، والرباطات... (إبراهيم الطحاوي ، 1974 ، 392/391).

فقد كان من أهم ما رغب فيه الإسلام من الصدقات، ما عرف باسم " الصدقة الجارية "؛ أي الدائمة. حيث جعل الإسلام لها جزءا متميزا عن غيرها من الصدقات، لبقاء أثرها ودوام نفعها، فكان ثوابها دائما باقيا لصاحبها بعد موته ما بقي نفعها... فقد وضع الإسلام ما للوقف الخيري من أثر ملموس في المجتمع الإسلامي في كافة العهود، والذي يعتبر من أبرز الأدلة على أصالة عواطف البر، وعمق معاني الخير في نفوس المسلمين، فإنهم لم يدعوا حاجة من حاجات المجتمع إلا وقف عليها الخيرون منهم جزءا من أموالهم. وقد كانت هذه الأوقاف من السعة والضخامة والتنوع، بحيث صارت مفخرة للنظام الإسلامي، وأصبح الفقراء المحرومون يجدون من " تكاياها " ما يقيهم الجوع والعري، ومن



مستشفياتها المجانية ما يعالجون به الأمراض، ومن " سبلها و ربطها " ما يعينهم على الأسفار. ولقد تتبع المسلمون مواضع الحاجات، مهما دقت وخفت، فوقفوا لها. حتى أنهم عينوا أوقافا لعلاج الحيوانات المريضة، وأخرى لإطعام الكلاب الضالة. وإذا كانت هذه نظرهم للحيوان، فكيف للإنسان ؟ فلا عجب إن وجدنا أوقافا شتى لليتامى واللقطاء والعميان والمقعدين وسائر العجزة، وذوي العاهات والمحتاجين (يوسف القرضاوي ، 1991 ، 135/134).

كما اهتم الدين الإسلامي بقضية حساسة لدى أفراد المجتمع ، في الماضي او الحاضر أو المستقبل ، ألا وهي مسألة الميراث وكيفية تقسيم الإرث على مستحقيه . فشرح هذا الموضوع في العديد من الآيات ليبطل ما كان يفعله العرب في الجاهلية قبل الإسلام من توريث الرجال دون النساء ، والكبار دون الصغار . أما في الوقت الحالي فإن الإرث من أكثر القضايا التي تعرض على المحاكم ، بسبب النزعات حول الأموال ورغبة الكثيرين في التعدي على حقوق غيرهم من الأقارب . فقد قال تعالى : " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين " ( النساء ، 11) ، وقد وضّح الإسلام نصيب كل فرد من الميراث في سورة النساء ، كنصيب الوالدين ، الزوجين ، الأبناء ، البنات وبنات الابن ، الأخوات للوالدين أو لأب ، الأخوة لأم... والحديث يطول في هذا الصدد ، ويحتاج تفصيله شخص متخصص . أما المبادلات التجارية ، التي تحكمها الآن القوانين الاقتصادية وقوانين التجارة العالمية ، فإن الإسلام أوضح الجائز منها ، مثل :

. بيع المراجعة : وهو بيع بمثل الثمن الأول مع زيادة الربح . فقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يشتري العير فيقول : من يربحني عقلها من يضع في يدي دينار .

. البيع بالتقسيط : وهو بيع السلعة بثمن مؤجل يسدد على فترات متفاوتة . وهو جائز لما فيه من تحقيق مصالح الناس فيبلغون حاجاتهم مما في أيدي بعضهم البعض ، طبعا مع مراعاة الشروط الموضوعية في ذلك ، فلا يكون ذريعة للربا .

. القراض أو المضاربة : وهي أن يعطي أحد للآخر مالا ليتجر فيه ، وأن يكون الربح بينهما على ما اشترطه ، والخسارة من رأس المال فقط . وفي ذلك يقول تعالى : " وءآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله " ( المزل 20)

وحتى بعد التطور الحاصل في مجريات الحياة اليومية فيما يتعلق بالأموال : الشيكات ، الودائع البنكية ، الحوالات، البطاقات المصرفية ... فيها ما يخرج عن المعنى الحقيقي إلى الربا ، لكن فقه المعاملات المالية يوضح الشروط اللازمة لكل تعامل ، حتى يتمكن المسلم من مجارة التحديث مع المحافظة على سلامة ذمته المالية . ( يوسف بن عبد الله الشبيلي ، 1426هـ )

وهناك مجموعة من الضوابط الشرعية التي تحكم المعاملات المالية تتمثل فيما يأتي :

- تحقيق النية الصادقة ، قبل البدء في أية معاملة .

- الالتزام بالحلال الطيب وتجنب الحرام الخبيث

- توثيق المعاملات بالعقود والعهود

- سلامة واستيفاء العقود والالتزام بها

- مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة .

#### **4. القيادة وحسن التسيير :**

يشير مصطلح القيادة إلى العملية التي بواسطتها يقوم الفرد بتوجيه أو التأثير في أفكار أو مشاعر الآخرين أو في سلوكهم .ويؤدي هذا التأثير في المرؤوسين إلى إنجاز المهام المحددة لهم بكل حماس وإخلاص ، وتحقيق هدف مرغوب .

ولا تعتبر عملية القيادة مجرد عملية تنظيمية فقط ، بل هي عملية يتخللها التفاعل الإنساني بالدرجة الأولى . فالتحليل النفسي للقيادة يعتبرها عملية قائمة على أساس طبيعة العلاقات الانفعالية بين القائد والأتباع داخل الجماعة ، فيرتبط أفراد الجماعة بالقائد ، ويرتبطون بعضهم ببعض عن طريق اشتراكهم في الارتباط بالقائد . فالأعضاء يجوبون القائد ويتوحدون معه ، ويحقق قائد الجماعة بتفاعله مع أعضاء جماعته وظائف معينة مثل : التوحد مع القائد ، والتخفيف من مشاعر الذنب ، والسيطرة على الدوافع وضبطها . ( حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، 2010 ، 15/13)

فحياة الأفراد اليومية تنظمها قوانين وأنظمة ، يسيروها قائد . كل ما يخص الجماعة يعنيه ، وكل فرد في الجماعة تتأثر حياته اليومية بقرارات هذا القائد وأساليبه .

أعطى الباحثون صفات عديدة للقائد الناجح ، كالدكاء، قوة الاستبصار ، المبادرة ، الحلم ، الإيمان بمهمته... وبشهادة علماء الغرب ، لنا الأسوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم كأعظم قائد في البشرية . فقد قال فيه الشاعر والكاتب الفرنسي الكبير ألفونس لامارتين : (إن محمد ) صلى الله عليه وسلم ( كان معلما دينيا ، ومصلحا اجتماعيا ، ومرشدا أخلاقيا ، ومخططا إداريا بارعا ، وصديقا وفيا ، ورفيقا درب راعيا ، وزوجا مخلصا ، وأبا محبا ، اجتمعت كل هذه الخصال في شخص . ولم يتفوق أي رجل آخر في التاريخ عليه ) .

أما الكاتب الأيرلندي جورج برناردو شو فقال في النبي الكريم : ( لقد كنت دائما أقيم دين محمد " صلى الله عليه وسلم " تقييما عاليا نظرا لحيويته المدهشة ، إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة

على استيعاب الجانب المتغير من الوجود ، مما يمكن أن يجعله مناسباً لكل عصر ... أنا أعتقد أنه لو تمكن رجل مثله ان يحكم العالم المعاصر حكماً مطلقاً، فهو سينجح في حل المشكلات بطريقة ستحقق السلام والسعادة للذين نحتاجهما كثيراً...)

فبالرغم من المنزلة العالية للرسول الكريم كقائد للأمة ، إلا أنه كان متواضعاً ، وناقش جماعة المسلمين في كل ما يخص واجباتهم وحقوقهم التي ذكرها القرآن الحكيم في منزل آياته ، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصلاة ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو من شرح طريقة تأديتها ...

### 5. تربية الأبناء :

تعد تربية الأبناء من أهم الأمور التي تشغل بال الأفراد في الحياة اليومية ، إن لم نقل أن الحياة اليومية للأسر أو أرباب الأسر تدور حولها .

وينظر الأنثروبولوجيون إلى التربية على أنها عمل إنساني يرمي إلى إعداد الأشخاص في المجتمع ، حتى يستطيعوا كسب المهارات والقيم وأنماط السلوك المختلفة التي تسير عليها عمليات التعامل مع البيئة الاجتماعية . ( محمد يسري إبراهيم دعيبس ، 1996 ، 3 )

هناك أساليب تربوية حديثة ، تركز في مجملها على الوصول إلى الطريقة المثلى في التعامل مع الأبناء ، وتقويم سلوكياتهم ، وتطوير البرامج التربوية الخاصة بهم ، وحتى المدارس والمواد البيداغوجية .

فمثلاً فلسفة التربية هي الفرع الذي يترجم بشكل مباشر التاريخ والحضارة والحالة الاجتماعية للوطن الذي تنشأ فيه . فالنظام التربوي نفسه بسيره اليومي ومبانيه الدراسية ومعلميه وتلامذته ، يعبر عن فلسفة الطموح الوطني والثقافي والسياسي ، كما يعبر إلى حد ما عن الآمال والمبادئ العامة لحياة شعب . فدراسة النظام التربوي الوطني ، والكشف عن قيمه المادية والروحية والاجتماعية يعيننا على فهم نقاط الضعف والقوة في هذا البلد ، كما يعيننا على فهم فلسفته . ( أرنولد تايلر ، 2011 ، 198 )

لكننا نحتاج إلى الالتفات إلى التربية الإسلامية التي أساسها القيم المشتركة ، والتي يجسدها الإنسان الصالح الذي يملك الأسس التربوية البناءة ، التي تنعكس في قيم العدل والمساواة والحرية الحقيقية ، والكرامة والإنسانية ، مع احترامه لخصوصيات الآخرين ، لذلك يجب أن تضطلع العملية التربوية بمسؤولية انتاج نماذج المثل الأعلى التي تبرهن على خلود قيم التربية الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان ، والقادرة على تشكيل الإرادات واكتشاف الطاقات .

وطبعاً مثلنا الأعلى وأسوتنا الحسنة على مدار التاريخ هو سيد الخلق وأفضل مربي "محمد" صلى الله عليه وسلم ، فقد كان قدوة للكبار حتى في طريقة تعامله ورحمته بالصغار ، ففي الصحيحين عن عائشة

رضي الله عنها قالت : قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم .  
وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع إن لي عشرة ما قبّلت منهم أحدا قط ، فنظر إليه رسول  
الله عليه السلام ثم قال : " من لا يرحم ، لا يرحم " .

وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب  
فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ .

فقال للغلام : " أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

فقال الغلام : لا والله ، لا أؤثر بنصبي منك أحدا .

وهناك العديد من الأساليب التربوية المنتهجة في تربية الأبناء ، على هديه صلى الله عليه وسلم مثل :  
التربية بالقدوة : فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجمل قدوة يمكن أن نربي عليها أبنائنا . بل إن من  
أجمل صفات ديننا الإسلامي الحنيف ، أن أشاد بخصال كل الأنبياء المرسلين . بل وحتى الصحابة رضوان  
الله عليهم من أحسن الأمثلة التي قد يقتدي بها الأولاد . فهم قدوة في حسن العبادة ، والكرم والزهد  
والتواضع والحلم والشجاعة... إلخ من الخصال الحميدة .

التربية بالعادة : من الأمور المقررة في شريعة الإسلام أن الولد مفطور منذ خلقته على التوحيد الخالص ،  
والدين القيم والإيمان بالله ، مصداقا لقوله تبارك وتعالى : " فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل  
لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ( الروم / 30 ) ، وقوله عليه الصلاة  
والسلام . فيما رواه البخاري : " كل مولود يولد على الفطرة ... " أي يولد على فطرة التوحيد والإيمان  
بالله . ومن هنا يأتي دور التعويد والتلقين والتأديب في نشأة الطفل ، وترعرعه على التوحيد الخالص ،  
ومكارم الاخلاق ، والفضائل النفسية ، وآداب الشرع الحنيف .

التربية بالموعظة : وتعد من أهم الأساليب التربوية تأثيرا في تكوين الولد إيمانيا ، وإعدادة خلقيا ونفسيا  
 واجتماعيا . ولا عجب أن نجد القرآن الكريم قد انتهج أسلوب الموعظة والأخذ بالنصيحة ، بل  
وخاطب النفوس بما كررها في العديد من آياته ، وفي مواطن عدة . ربما من أبرزها المواعظ المقدمة في  
سورة لقمان ( وصايا لقمان ) . وقد تعددت الطرق فب تقديم ذلك ، إما بالنداء الإقناعي ، أو  
الأسلوب القصصي المصحوب بالعبارة ، أو الوصايا . وحتى الرسول عليه السلام قد انتهج أسلوب  
الوعظ بالقصة والحوار والمداعبة وضرب المثل ....

التربية بالملاحظة : ويقصد بها ملاحظة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي ، ومراقبته  
وملاحظته في الاعداد النفسي والاجتماعي ، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله وتتبعه في نموه الجسدي  
وتحصيله العلمي ...

التربية بالعقوبة : إن الأصل في معاملة الأطفال هي اللين والرحمة والرفق ، فقد روى البخاري في الأدب المفرد : " عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش " ، وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاً إلى اليمن وقال لهما : " يسراً ولا تعسراً وعلماً ولا تنفراً " . لكن الأولاد يختلفون في الذكاء وقدرة الاستيعاب والمزاج ، لهذا عندما يخطأ أحدهم لا بد من مراعاة هذا الاختلاف ، ولا بد من التدرج في العقوبة . فهناك طفل ينفذ معه النظرة العابسة ، وآخر يحتاج إلى استعمال التوبيخ أو التأنيب ، ولا يلجأ للضرب إلا في الضرورة القصوى . ( عبد الله ناصح علوان ، 1981 ، 633/775 )

### الخلاصة :

يكون الفضل البالغ لعلم الاجتماع في تشريح البناء الاجتماعي ، وتوضيح العلاقات الاجتماعية التي تحكمه ، مع تبيان أنواع المعاملات ( الاجتماعية ، الاقتصادية ، الثقافية ، السياسية ) التي تسير وفقها الأنظمة والأفراد ، من القضايا الكبرى ( الماكرو ) إلى القضايا الصغرى ( الميكرو ) . حتى توصل إلى معالجة حتى أصغر الأبعاد والأفعال التي قد تؤثر في علاقات الإنسان المعاصر ، أو نمط حياته . لكننا مع ذلك لا يمكننا تقبل كل تلك النظريات والقوانين الوضعية ، ذات النشأة الغربية ، دون تمحيصها وغربلتها بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ، بحكم أننا جماعة مسلمة . فإن لم نستطع تأسيس علم اجتماع إسلامي ، فإننا مع ذلك نجد ظالتنا في مصدري الأحكام السنة والقرآن الكريم . وبالذات بعد تعرفنا على مدى تناول السنة النبوية لكل تفصيل من حياة الإنسان رجال ونساء وأطفال ، فقد تحدث صلى الله عليه وسلم عن كل ما يهم الفرد المسلم ، من فقه عبادات أو فقه معاملات . وذلك من خلال الوحي المنزل أو من خلال كل تلك الصفات التي جمعها الله في شخصه الكريم ، فشهد على عظمته وعبقريته صلى الله عليه وسلم حتى الغريبيون .

لهذا وجب علينا التمسك ما استطعنا بسنته الشريفة قولاً وفعلاً وتقريراً .

ثم الحمد لله على نعمة الإسلام ، والصلاة والسلام على خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

### المراجع :

1. أنتوني غدنز . علم الاجتماع . ترجمة فايز الصياغ . ط4 . المنظمة العربية للترجمة . لبنان . 2005 .
- 2 . علياء شكري وآخرون . المرأة والمجتمع ( وجهة نظر علم الاجتماع ) . دار المعرفة الجامعية . الأزاريطة . 1998 .
- 3 . حسام الدين فياض . العلاقات الاجتماعية . مركز نور للتأليف والترجمة . نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية . بدون بلد نشر . 2002 .

4. محمد الهامي . منهج الإسلام في بناء المجتمع . دار التقوى للنشر والتوزيع . مصر . 2015 .
5. سيد عبد الماجد الغوري . السنة النبوية حجيتها وتدوينها . دار ابن كثير . دمشق . 2009 .
6. يوسف القرضاوي . مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام - ط 9 - مؤسسة الرسالة للطبع والنشر - بيروت - 1991 .
7. سليمان ينفوني . الضمان الاجتماعي في الإسلام وأثره الوقائي ضد الجريمة - الدار العالمية - لبنان - بدون سنة نشر .
8. إبراهيم الطحاوي . الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً ( دراسة مقارنة ) - الجزء الأول - منشورات المكتبة العصرية - بيروت - 1974 .
9. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . القيادة دراسة في علم الاجتماع النفسي والإبتكاري والتنظيمي . مؤسسة شباب الجامعة . مصر . 2010 .
10. محمد يسري إبراهيم دعيبس . التربية الأسرية : أبعادها وتحدياتها . الإسكندرية . 1996 .
11. أرنولد تايلور . فلسفة التربية الأمريكية . ترجمة عبد القادر بليمان . مجلة التربية والابستيمولوجيا . العدد الأول . الجزائر . 2011 .
12. بتصرف . عبد الله ناصح علوان . تربية الأولاد في الإسلام . الجزء 2 . دار الشهاب . الجزائر . 1981 .